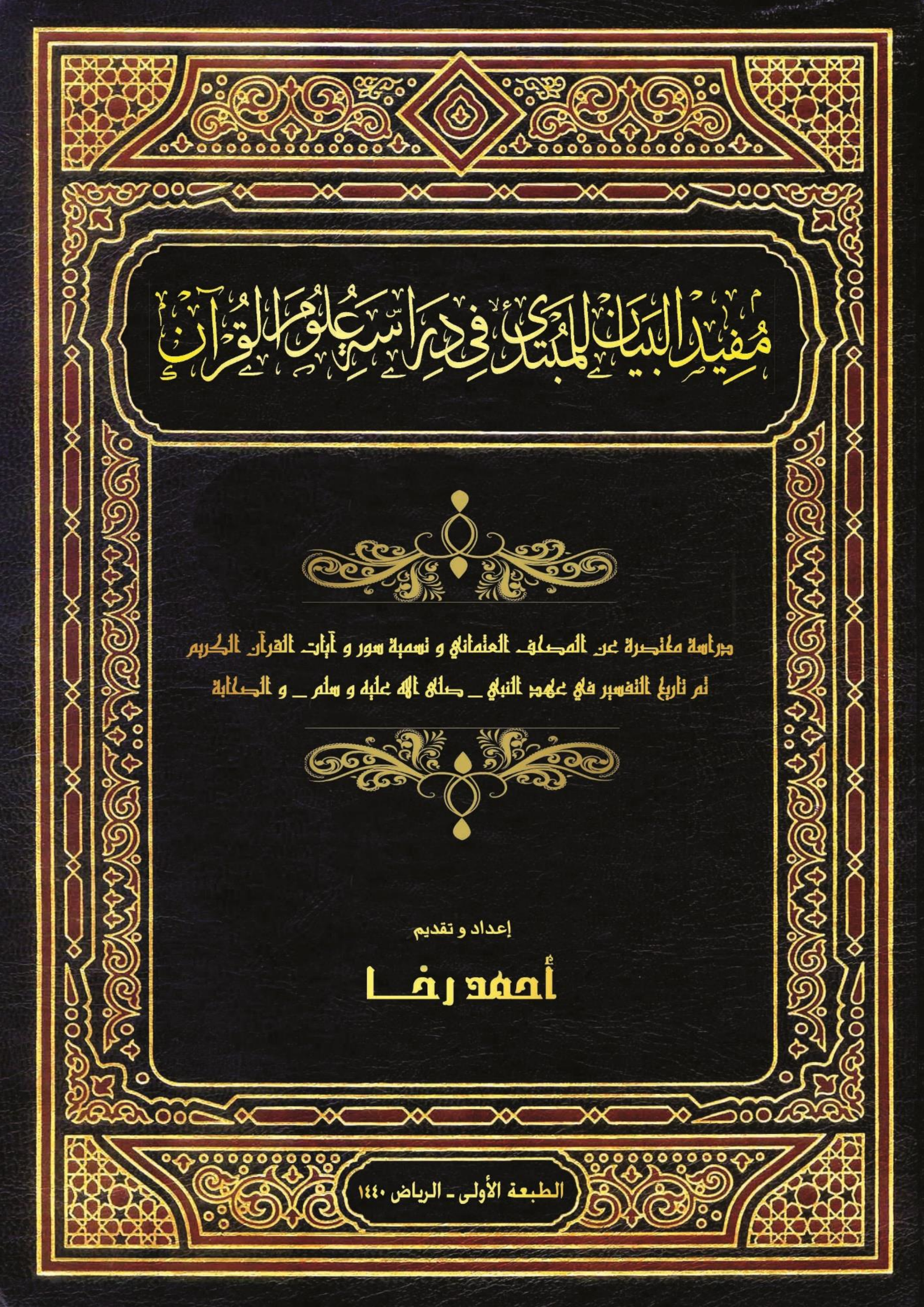


مُفيد البيان للمُبتدي في دِراسة عُلوم القُرآن
دراسة مختصرة عن المصحف العثماني و تسمية سور و آيات القرآن الكريم
ثم تاريخ التفسير في عهد النبي _ صلى الله عليه و سلم _ و الصحابة
إعداد و تقديم
أحمد رضا
الطبعة الأولى ـ الرياض ١٤٤٠

# مُفِيدُ البَيَانْ

## لِلمُبْتَدِئُ فِي دِرَاسَةِ عُلُوم القُرْآن

**دراسة مختصرة عن المصحف العثماني و تسمية سور و آيات القرآن الكريم**

**ثم تاريخ التفسير في عهد النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ و الصحابه**

**إعداد و تقديم**

**الفقير إلى الله**

**أحـمـد رخــــــا**

**١٤٤٠ـ ٢٠١٩**



# المقدمة

الحمـد لله حمـداً كثيـراً طـيباً مباركـاً فيــه و الصــلاة و الســلام علــى نبينــا محمـد صـلى الله عليـه و سـلم ، رضـيت بـالله ربـا و بالإســلام دينـاً و بمحمـد صـلى الله عليه و سلم نبياً و رسـولاً
أما بعـــد :

تـم بحمـد الله عمـل هـذا البحـث المختصـر و الـذي يتحـدث عـن المصـحف العثمـاني و سـوف نعطـي نبـذه بمشـيئة الله بشـكل ميسـر عـن تسـمية سـور و آيـات القـرآن الكـريم ثـم تـاريخ التفسـير فـي عهـد النبـي ـ صـلى الله عليـه و سـلم ـ و الصـحابه و عـن بعـض المراحـل التـى مـر بهـا كتـاب الله حتـى وصـولا بعصـرنا الحـالى و الـذي نقـرآه بـين أيـدينا اليوم .

مسـتعيناً بـالله و مُتَوكـل عليـه و أسـأله تبـارك و تعـالى أن يرزقنـا الإخـلاص و القبول في القول و العمل ، و أن يسدد خُطانا و خُطاكُم و يهْدِيَنا الصراط المستقيم .

و اللهُ ولـيُّ التَوفِيق ..

المُقدّم

# المصحف العثماني

## المصحف العثماني :

المصحف العثماني هو مصحف عثمان أو المصحف الإمام هو المصحف الذي جمعه الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ﷺ أمر بكتابته وإرسال نُسخ منهُ إلى الأمصار الإسلامية.

بعد وفاة النبي محمد ﷺ ، جُمع القرآن في مصحف واحد بأمر من الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ ، ولما آلت الخلافة لعثمان بن عفان ﷺ اتسعت الفتوحات الإسلامية وانتشر الصحابة في البلاد المفتوحة يعلمون الناس القران كل بقراءته، ولما لاحظ الصحابي حذيفة بن اليمان اختلاف المسلمين في القراءة وبعض هذا الاختلاف مشوب باللحن أخبر الخليفة بذلك ؛ فأمر عثمان بجمع المصحف على حرفٍ واحد، وأرسل إلى حفصة بنت عمر بأن تسمح له باستخدام المصحف الذي بحوزتها ليجمع القران منه، وأمر عثمان بنسخ عدة من المصحف لتوحيد القراءة وأمر أن توزع على بلاد المسلمين، كما أمر بإعدام ما يخالف هذا المصحف .

شَكل عثمان بن عفان لجنة لكتابة المصحف تضم: زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم ، ثم دفع إلى زيد بن ثابت والقرشيين الثلاثة المصحف الذي كان عند حفصة بنت عمر، وأمرهم بنسخ مصاحف منها، ترجم البخارى فى «جامعه الصحيح» بابا بعنوان (نزل القرآن بلسان قريش والعرب) وذكر فيه قوله تعالى: قُرْآناً عَرَبِيًّا، وقوله تعالى: بِلِسانٍ عَرَبِيّ مُبِينٍ ثم ذكر طرفا من حديث أنس ﷺ فى جمع القرآن، وفيه قول عثمان: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم). وما ذكره الإمام البخارى يكشف عن أنه يرى أن قريشا لم يقتصر القرآن على لسانها، وإن كانت هى أسعد حظا به من غيرها؛ ولذا قدم لسان قريش ثم سائر العرب .

## مراحل جمع القرآن الكريم :

بُدأ في جمع ونسخ المصاحف في آخر سنة ٢٤ هـ وأوائل سنة ٢٥ هـ، ولم يؤرخ في كتب المؤرخين المدة التي استغرقتها اللجنة في كتابة المصحف .

ظل مصحف عثمان الشخصي معه حتى كانت فتنة مقتل عثمان، وتجمع الروايات على أن عثمان عندما أقدم بعض المحاصرين لداره على اقتحامه، أخذ مصحفه ووضعه على حجره ليتحرم به ويقرأ منه، ثم فاجأه الثوار بالهجوم وتقدم أحدهم وسل سيفه وهوى به عليه ، فأكبت زوجته نائلة بنت الفرافصة واتقت السيف بيدها، فقطع السيف أصابعها، ومضى السيف في حبل عاتق عثمان فقتله على الفور.

و يُعد جمع الخليفة عثمان بن عفان للقران الكريم هو الجمع الثاني في عهد الخلفاء الراشدين ، عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة في البلاد المفتوحة يعلمون أهلها القران وعلوم الدين، وكان كل صحابي يُعلم طلابه بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة، فكان أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب، فيقرأون بما لم يسمع أهل العراق، وكان أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، فيقرأون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضًا ، روى ابن الجزري: «فنحن نقطع بأن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرؤون بما خالف رسم المصحف العثماني قبل الإجماع عليه، من زيادة كلمة أو أكثر، وإبدال أخرى بأخرى، ونقص بعض الكلمات كما ثبت في الصحيحين وغيرها، ونحن اليوم نمنع من يقرأ بها في الصلاة وغيره منع تحريم لا منع كراهة، ولا إشكال في ذلك. ومن نظر أقوال الأولين علم حقيقة الأمر» ، «أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافًا وأشد لحنًا اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إمامًا» عثمان بن عفان .

عندما اتجه جيش المسلمين لفتح أرمينية وأذربيجان كان الجنود من أهل العراق والشام، فكان الشقاق والنزاع يقع بينهم ، ورأى حذيفة بن اليمان اختلافهم في القراءة وبعض ذلك مشوب باللحن مع إلفِ كل منهم لقراءته ، واعتياده عليها واعتقاده أنها الصواب، وما غيرها تحريف وضلال حتى كفّر

بعضهم بعضًا، فأفزع هذا حذيفة وقال: والله لأركبن إلى أمير المؤمنين، وكان عثمان قد رأى نحو هذا في المدينة ، فقد كان المعلم يعلم بقراءة، والمعلم الآخر يعلم بقراءة، فجعل الصبيان يلتقون فينكر بعضهم قراءة الآخر .

فبلغ ذلك عثمان ، فقال خطيبًا: «أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافًا وأشد لحنًا، اجتمعوا يا أصحاب محمد، واكتبوا للناس إمامًا» . فلمّا جاء حذيفة إلى عثمان وأخبره بما جرى تحقق عند عثمان ما توقعه، روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: « إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان».

ذكر ابن عطية الأندلسي أن الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر بقيت عنده ثم عند عمر بن الخطاب ﷺ بعده، ثم عند حفصة بنته في خلافة عثمان، وانتشرت في خلال ذلك صحف في الآفاق كتبت عن الصحابة كمصحف عبد الله بن مسعود، وما كتب عن الصحابة بالشام، ومصحف أُبي بن كعب وغير ذلك، وكان في ذلك اختلاف حسب الأحرف السبعة التي أُنزل القران عليها، فلما قدم حذيفة من غزوة أرمينية انتدب عثمان لجمع المصحف .

## سبب جمع عثمان بن عفان ﷺ للقرآن :

جمع المصحف لما سمع عثمان بن عفان ﷺ ما سمع وما أخبر به حذيفة بن اليمان، استشار الصحابة فيما يفعل ، فقد روى ابن حجر العسقلاني عن علي بن أبي طالب قال:«يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرًا في المصاحف.. فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا جميعًا، قال: ما تقولون في هذه القراءة، قد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرًا، قلنا: فما ترى، قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت.. قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل».

اختار عثمان ﷺ لمهمة نسخ المصاحف أربعة هم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم ، وهؤلاء الثلاثة من قريش، وقد سأل عثمان الصحابة: «من أكتب الناس، قالوا: كاتب رسول الله زيد بن ثابت ، قال فأي الناس أعرب، قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان فليمل سعيد وليكتب زيد». وقيل أن عثمان اختار اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم، ولا يوجد تعارض بين الروايتين، وما هو ثابت هو أن أعضاء لجنة كتابة المصحف هم الأربعة، ويظهر أن عثمان بن عفان لم يكتف بهولاء الأربعة بل كان يضم إلى معاونتهم من يكون عنده علم بالقرآن يعاونهم في كتابته.

بعد أن اتفق عثمان مع الصحابة على جمع القران على حرفٍ واحد، سلك منهجه وطريقته في جمع المصحف وتمثلت هذه الطريقة في: أن عثمان خطب في الناس فقال: «أيها الناس، عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون قراءة أبي وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم لسمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك، فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان قال: من أكتب الناس، قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال: فأي الناس أعرب، قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد، فكتب زيد، وكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد يقول: قد أحسن » .

## جمع و نشر عثمان بن عفان ﷺ للقرآن :

أرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نعيدها إليك، فأرسلت بها إليه، وهي الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق ، دفع عثمان إلى زيد بن ثابت والقرشيين الثلاثة المصحف الذي كان عند حفصة، وأمرهم بنسخ مصاحف منها، وقال عثمان للقرشيين الثلاثة: « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القران ، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ».

إذا كان في آية أكثر من قراءة تكتب الآية خالية من أية علامة تقصر النطق بها على قراءة واحدة، فتكتب برسم واحد يحتمل القراءتين أو القراءات فيها جميعًا، مثل: كلمة (فَتَبَيَّنُوا) التي قرئت أيضًا (فتثبتوا)، وكلمة (نُنشِزُهَا) قرئت أيضًا (ننشرها) ، أما إذا لم يكن رسمها بحيث تحتمل القراءات فيها، فتكتب في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي مصاحف أخرى برسم يدل على القراءة الأخرى، مثل: (وَوَصَّى بِهَا إِبرَهِيم) هكذا تكتب في بعض المصاحف، وفي بعضها (وأوصى)، أما المثال الآخر (وَسَارِعُوا إِلَى مَغفِرَةٍ مِن رَّبِّكُم) بواو قبل السين في بعض المصاحف، وفي بعضها بحذف الواو .

بعد الفراغ من نسخ المصاحف بعث عثمان بنسخ منها إلى الأمصار والبلاد الإسلامية، حيث نشط المسلمون في نسخ مصاحف منها للأفراد، وكان زيد بن ثابت في المدينة يتفرغ في رمضان من كل سنة لعرض المصاحف فيعرض الناس مصاحفهم عليه وبين يديه مصحف أهل المدينة .

### المصحف الخاص بعثمان بن عفان ﷺ :

استشهد عثمان ﷺ وهو يتلو القران في مصحفه الخاص، واصطبغت بضع صفحات منه بقطرات من دمائه، وكان لهذه القطرات من الدماء أعظم الأثر فيما حظي به هذا المصحف من أهمية عظمى بين المصاحف العثمانية إلى حد أن بلغت حد القدسية، ودفعت المساجد الكبرى في العالم الإسلامي إلى التنازع على اقتنائه والتهافت عى حيازته للتبرك به ، كان المصحف الإمام الذي كان عثمان بن عفان يقرأ فيه ساعة استشهاده قد سالت عليه قطرات من دماء الخليفة عثمان ﷺ ، عندما وجأ كنانة بن بشر بن عتاب أذنه بمشاقص كانت في يده حتى دخلت في حلقه ، وقد قطرت أول قطرة من دم عثمان على قوله تعالى: " فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " البقرة (١٣٧) وظل أثر الدم عليه لم يحك بعد وفاته.

## مميزات مصحف عثمان ﷺ :

**الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة:** قال ابن القيم: « جَمَعَ عثمان ﷺ الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله القراءة بها لمَّا كان ذلك مصلحة».

**إهمال ما نسخت تلاوته:** كان مقصد عثمان بن عفان جمع الناس على مصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبِتَ مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كُتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعده و الاقتصار على ما ماثبت في العرضة الأخيرة وإهمال ماعداه و في نموذج من مخطوطات صنعاء لما كان عليه المصحف العثماني إذ يتضح خُلُوه من النقط والتشكيل ؛ روى أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف من حديث محمد بن سيرين عن كثير بن مفلح: « لما أراد عثمان ﷺ أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، قال فبعثوا إلى الرَّبعة التي في بيت عمر فجيء بها، قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخروه، قال محمد: قلت لكثير وكان منهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه، قال لا، قال محمد: فظننت ظنًا أنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدًا بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله ».

**الاقتصار على القراءات الثابته :** المعروفة عن الرسول ﷺ وإلغاء ما لم يثبت.

**رُتبت الآيات والسور على الوجه المعروف الآن :** قال الحاكم النيسابوري: «إن جمع القران لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة الرسول، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث هو ترتيب السور وكان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين».

## عدد المصاحف التي نسخها عثمان بن عفان ﷺ :

بعد أن أتمت اللجنة نسخ المصاحف، أنفذ عثمان بن عفان ﷺ إلى آفاق العالم الإسلامي بنسخ منها، وأرسل مع كل مصحف من يوافق قراءته :

- فأمر زيد بن ثابت أن يقريء بالمصحف المدني .
- وبعث عبد الله بن السائب مع المصحف المكي .
- والمغيرة بن أبي شهاب مع المصحف الشامي .
- وأبا عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي .
- وعامر بن عبد القيس مع المصحف البصري .

وتلقى المسلمون في كل قطر من أقطار الإسلام قراءة إمامهم، وتفرغ قوم منهم بضبط القراءات حتى صاروا أئمة يرحل إليهم ، وبهذا يُعرف كيفية إنتشارٍ هذه المصاحف، لأن الإعتماد في نقل القرآن على التلقي من صدور الرجال ثقةً عن ثقةٍ وإماماً عن إمام إلى النبي محمد، لذلك اختار عثمان حفاظًا يثق بهم وانفذهم إلى الأقطار الإسلامية واعتبر هذه المصاحف أصولاً ثواني، وتوثيقًا للقرآن ولجمع كلمة المسلمين فكان يرسل إلى كل إقليم مصحفه مع من يوافق قراءته في الأكثر الأغلب و بعد أن أنفذ عثمان بن عفان المصاحف أمر بما سوى مصحفه أن يحرق، وبعث إلى أهل الأمصار إني قد صنعت كذلك وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم. وقد رضي الصحابة ما صنع عثمان وأجمعوا على سلامته وصحته ،

وقال زيد بن ثابت: «فرأيت أصحاب محمد يقولون: أحسن والله عثمان، أحسن والله عثمان» ؛ وروى أبو بكر بن أبي داود عن مصعب بن سعد قال: «أدركت الناس متوافرين حين حرَّق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك وقال: لم يُنكر ذلك منهم أحد». ، وروى سويد بن غفلة قال: قال علي بن أبي طالب: «لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا »، ، وقال ابن أبي داود قال علي في المصاحف: «لو لم يصنعه عثمان لصنعته» ، لم يُنقل عن أحد من الصحابة خلاف أو معارضة لما فعل الخليفة عثمان بن عفان .

## حفظ الصحابة للقرآن و الجمع على حرف واحد :

لم تكن معارضة عبد الله بن مسعود ﷺ بسبب حصول تقصير في الجمع أو نقص أو زيادة ، وإنما جاءت معارضته لعدم تعيينه مع أعضاء لجنة نسخ المصاحف ، ولهذا قال: «أُعزل عن نسخ المصاحف وتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صُلب رجلٍ كافرٍ ». وروى الترمذي عن ابن شهاب قال: « فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبي ﷺ »،
وقد دافع الفقيه أبو بكر الأنباري عن اختيار زيد فقال: « ولم يكن الاختيار لزيد إلا أن زيدًا كان أحفظ للقرآن من عبد الله إذ وعاه كله ورسول الله ﷺ حي .

ولا ينبغي أن يظن جاهل أن في هذا طعنًا على عبد الله بن مسعود ﷺ ، لأن زيدًا إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجبًا لتقدمته عليه ، لأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما للقرآن وليس هو خيرًا منهما ولا مساويًا لهما في الفضائل والمناقب ، وما بدا عن عبد الله بن مسعود من نكير فشيء نتجه الغضب ، ولا يعمل به ولا يؤخذ به ، ولا يشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم » ، وأكد الذهبي على ماقاله الأنباري فقال: « وقد ورد أن ابن مسعود ﷺ رضي وتابع عثمان ولله الحمد»، وقال ابن كثير: «وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من الغضب ، بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف .. ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق ».

أما ما يتعلق بجواز الصحابة ترك الأحرف الستة التي أمر الرسول قراءة القرآن بها، واقتصارهم على حرف واحد، فقد علل ابن القيم جمع الناس على حرف واحد وقال: « فلما خاف الصحابة رضي الله عنهم على الأمة أن يختلفوا في القرآن ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف، فعلوا ذلك ومنعوا الناس من القراءة بغيره، وهذا كما لو كان للناس عدة طرق إلى البيت ، وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرق والتشتيت ويطمع فيهم العدو، فرأى الإمام جمعهم على طريق واحد، فترك بقية الطرق جاز ذلك، ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلى المقصود وإن كان فيه نهي عن سلوكه لمصلحة الأمة ».

## عدد النسخ التي كتبها عثمان ﷺ :

اخْتُلِفَ في عدد النسخ التي كتبها عثمان ﷺ إلى خمسة أقوال: قيل إنها أربع نسخ: قال أبو عمرو الداني: «أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان ﷺ لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن، فوجه إلى الكوفة إحداهن وإلى البصرة أخرى وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة» ، قيل إنها خمس نسخ: قال السيوطي: «أُختُلف في عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، المشهور أنها خمسة» ، قيل إنها ستة و قيل إنها سبع نسخ: روى ابن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني قال: «لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف فبعث واحدا إلى مكة وآخر إلى الشام وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحدًا» . و قيل إنها ثمانية ، يميل جمهور الباحثين إلى الأخذ بالرأي القائل بأن المصاحف كانت ستة،كما أن هناك إجماع من المؤرخين القدامى والمحدثين على أن أربعة مصاحف اختصت بها المدينة ودمشق والكوفة والبصرة، وأن هناك خلاف على مصاحف اليمن والبحرين ومكة ومصر.

كانت المصاحف المنسوخة كلها مكتوبة على الورق الكاغد، إلا المصحف الذي خص به عثمان بن عفان نفسه فقد قيل: إنه كتب على رق الغزال. المصاحف المدنية والمكية كانت تسمي بالمصاحف الحجازية عند أهل الرسم، والمصاحف الكوفية والبصرية هما المرادان بالمصاحف العراقية عند أهل الرسم أيضاً، وأما المصحف السادس فهو المصحف الشامي ، وأما أصل كل هذه المصاحف فهو مصحف الإمام الذي احتفظ به الخليفة عثمان بن عفان، ولا اختلاف بين النسخ المرسلة إلى الأمصار الإسلامية، لأن الحكم هو أنها صورة لنسخة واحدة، وكان مصحف الإمام هو المرجع الأول في الدولة الإسلامية، ترجع إليه كل المصاحف وهو الحاكم عليها.

***********

# رسم المصحف

## تعريف رسم المصحف :

**الرسم في اللغة:** الأثر أي: أثر الكتابة في اللفظ،وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الإبتداء بها و الوقوف عليها.

**الرسم في الإصطلاح :** الوضع الذي ارتضاه سيدنا عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه.

## - عناية العلماء برسم المصحف :

◄ اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا برسم المصحف فمن ذلك :

١ـ **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار:** لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني "ت٤٤٤هـ" حققه الأستاذ محمد أحمد دهمان .
٢ـ **الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف:** ابن وثيق الأندلسي "ت٦٥٤هـ" تحقيق د. غانم قدوري الحمد.
٣ـ **البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه:** لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن معاذ الجهني "ت٤٤٢هـ" تقريبًا تحقيق د. غانم قدوري الحمد ونشره في مجلة المورد م١٥ العدد الرابع ١٤٠٧ هـ.
٤ـ **عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل:** لأبي العباس أحمد بن البناء المراكشي "ت٧٢١هـ" حققته د. هند شلبي.
٥ـ **عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد:** للإمام الشاطبي "ت٥٩٠هـ" وهي قصيدة نظم فيها مسائل المقنع: لأبي عمرو الداني وزاد عليه ست كلمات حيث قال الشاطبي: وهاك نظم الذي في مقنع عن أبي ... عمرو وفيه زيادات فطب عُمُرا وعدد أبياتها ٢٩٨ بيتًا وتسمى الرائية وشرحها كثير من العلماء.
٦ـ **مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن محمد الشريسي الشهير بالخراز "ت٧١٨هـ" وهي أيضًا قصيدة جاءت في قسمين الأول في الرسم والثاني في الضبط ويعرف الأول بمورد الظمآن والثاني بضبط الخراز.

وجاءت المنظوفة جامعة لما ورد في أمهات مصادر الرسم شاملة للمشهور من أوجه الخلاف بين المصادر فحظيت بالقبول واعتمدتها اللجنة التي أشرفت على طبع المصحف المشهور بالأميري سنة ١٣٤٢ هـ.وتعددت شروحها١ واعتمدت ضبطه لجنة طبع مصحف المدينةالنبوية من إصدار مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٧- **رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية:** ألفها د. غانم قدوري الحمد. وهذا الكتاب من أفضل المؤلفات وأشملها في رسم المصحف، لم يعتمد فيه مؤلفه على مجرد النقل بل كان عماده التحقيق الدقيق.

٨- **جامع البيان في معرفة رسم القرآن:** للأستاذ علي إسماعيل السيد هنداوي وضعه وفق ما جاء في مورد الظمآن حيث يذكر مضمون الأبيات أولًا، ثم يورد الأبيات آخرًا ويعقب كل مبحث بمجموعة من الأسئلة للتدريب والمراجعة.

## رسم المصحف هل هو توقيفي أو اجتهادي :

حكم التزام الرسم العثماني: اختلف العلماء في حكم التزام الرسم العثماني إلا ثلاثة أقوال:

### القول الأول: وجوب التزام الرسم العثماني وتحريم مخالفته:

وهو مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك وأقوال العلماء ونصوصهم في ذلك كثيرة ومنها أن الإمام مالك رحمه الله تعالى سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا. إلا على الكتبة الأولى ،وقال أشهب: سئل مالك فقيل له: أرأيت من استكتب مصحفًا اليوم أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك. ولكن يكتب على الكتبة الأولى ،

قال أبو عمرو الداني: "ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة وبالله والتوفيق" ، وقال أشهب: سئل مالك عن الحروف تكون في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغير من المصحف إذا وجدت فيه كذلك؟ قال: لا. قال أبو عمرو الداني: يعني الواو والألف الزائدتين في الرسم لمعنى المعدومتين في اللفظ ... " ،

وقال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك" ،

وقال البيهقي في شعب الإيمان: "من يكتب مصحفًا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئًا فإنهم كانوا أكثر علمًا وأصدق قلبًا ولسانًا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكًا عليهم" ، بل قال الجعبري في شرح العقيلة: إن ذلك هو مذهب الأئمة الأربعة" وقال الزمخشري في تفسيره: "خط المصحف سنة لا تغير" ،

وقد صدرت فتوى هيئة كبار العلماء بالرياض رقم٧١ وتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٣٩٩ بأن المحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم "يعني الرسم العثماني" هو المتعين اقتداء بعثمان وعلي وسائر الصحابة وعملًا بإجماعهم"، وقد أيد هذه الفتوى مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة كما أيدتها دار الإفتاء بمصر .

## القول الثاني: جواز كتابة القرآن بالرسم الإملائي الحديث :

وممن ذهب إلى هذا القول الباقلاني وابن خلدون وعدد من المعاصرين واستدلوا بأدلة منها :

١- أن هذه الخطوط والرسوم ليست إلا علامات وأمارات فكل رسم دل على الكلمة ويفيد وجه قراءتها فهو رسم صحيح وكاتبه مصيب.

٢- أن كتابة المصحف على الرسم العثماني قد توقع الناس في لبس وحيرة، ومشقة وحرج، ولا تمكنهم من القراءة الصحيحة السليمة وكتابة القرآن بالرسم الحديث فيه تيسير على الناس ورفع للحرج والمشقة.

٣- ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في إجماع الأمة ما يوجب التزام الرسم العثماني.

**القول الثالث: جواز كتابته بالرسم الإملائي للعامة وللتعليم مع الإبقاء على الرسم العثماني في المصاحف والمحافظة عليه للعلماء والخاصة :**

ومال إلى هذا الرأي الشيخ العز بن عبد السلام والزركشي رحمهما الله تعالى فقد عقب الزركشي على ما قاله الإمامان مالك وأحمد رحمهما الله تعالى بقوله: "قلت: وكان هذا في الصدر الأول، والعلم حي غض، وأما الآن فقد يخشى الإلباس. ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: "لا يجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة لئلا يوقع في تغيير من الجهال" ولم يرتض الزركشي هذا البعد في الجواز للرسم الإملائي فعقب على كلام العز بقوله: "ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه، لئلا يؤدي إلى دروس العلم، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة".

**القول الراجح من أقوال العلماء في رسم المصحف :**

<u>نص علماء السلف على وجوب التزام رسم المصحف وتحريم مخالفته ويستدل على ذلك ما يلي:</u>

١ـ أن القرآن كتب بهذا الرسم في عهد عثمان وفيه كبار الصحابة فتلقوه هم وبقية الصحابة حينذاك وعددهم لا يقل عن اثني عشر ألفًا بالقبول ولم يعترض أحدهم على زيادة حرف أو نقصانه، وتلقاه من بعدهم التابعون ومن بعدهم. فلا يترك هذا الرسم مراعاة لجهل الجاهلين، وتقصير المقصرين.

٢ـ أن الكتابة كغيرها من العلوم والمعارف تتغير وتتبدل، وتتطور من عصر إلى عصر ومن بلد إلى بلد، فلو كتب في عصرنا هذا على طريقتنا في الكتابة لاحتاج من في المغرب العربي إلى كتابته بصورة أخرى، واحتاج من الهند وباكستان إلى كتابة ثالثة، ولاحتاجت الأجيال من بعدنا إلى تغيير وتبديل يعرض النص القرآني في كل مرة إلى الخطأ أو التحريف والتغيير.

٣- أن تغيير رسم المصحف كلما هبت ريح أو أشرقت شمس أو آذنت بغروب يعرض المصحف للامتهان، ويمس قداسته، ويغض من هيبته، ويقلل من احترامه فتعتاد النفوس ويتبلد الإحساس وتخمد الغيرة على النص القرآني .

٤- أن إجازة كتابته بالرسم الإملائي وانتشاره بذلك واعتياد الناس لذلك يمهد للدعوة إلى تغيير الأحرف العربية وكتابة اللفظ بالأحرف اللاتينية ما دام النطق واللفظ هو اللفظ. بل الدعوة قائمة الآن إلى كتابة القرآن بالأحرف اللاتينية .

٥- أن للرسم العثماني فوائده وحكمه، ومزاياه التي يضمنها الالتزام بالرسم العثماني ولا تتحقق في سواه.

٦- أن تعليم القرآن وحفظه لا يكون من المصحف وإنما عن طريق المشافهة عن حافظ متقن، ومن سلك هذا الطريق لم يشكل عليه رسم، وإنما الإشكال ممن لم يلتزم الطريق الصحيح وقرأ من المصحف وحده فالخطأ من قبله هو أتى.

٧- أن الاحتجاج بتعليم الصبيان غير مسلم، فها نحن نراهم يتعلمون اللغات الأجنبية بحروفها ولغاتها ويتقنونها وينكرون كل الإنكار كتابة الكلمات لهم بالأحرف العربية بل يوجبون قراءة اللغة الأجنبية بأحرفها الأجنبية مع الاختلاف الكلي بين اللغتين بينا الاختلاف بين الرسم العثماني والإملائي ليس إلا في كلمات معدودة ورسوم محدودة.

٨- أن تعليم الصبيان لا يكون بالمساس بالنص الديني وإنما يكون برفع مستوى الأذهان، والتهيئة النفسية لذلك، وعلينا إن كنا حريصين -حقًّا- على تعليم أبنائنا للقرآن الكريم أن نعودهم القراءة في المصحف، ففي التعود على قراءته تأليف لأذهانهم على رسم المصحف، وترويض لمداركهم على مصطلحاته وسيدرك أولئك أن الصعوبة التي تواجههم بادئ الأمر قد تحولت بعد زمن يسير إلى سهولة ووضوح ، وإنما تصعب تلاوة القرآن وإتقانه على الذين يهجرونه دهرًا طويلًا ثم يعودون لتلاوته دقائق معدودة، فأولئك سيواجهون -حتمًا- الصعوبة وسيحملون تقصيرهم -جورًا وظلمًا- على رسم المصحف وما هو من الرسم ولكنه من تفريطهم بالتلاوة وهجرهم للقرآن والله المستعان .

**٩ـ أن في الالتزام برسم المصحف ضمان قوي للنص القرآني من التحريف والتبديل، ولو تم تغييره في كل حين والتصرف في كتابته في كل عصر لأدى ذلك إلى تعريض المصحف للتغير والتبديل، والتحريف.**

**١٠ـ أن الذين دعوا إلى كتابة المصاحف بالرسم الإملائي ليسوا من القراء ولا من العلماء المختصين بالرسم، وإنما عمادهم الرأي المجرد بل إن بعضهم من المشهورين بالإلحاد وسوء المعتقد، وفيهم من دعا إلى ذلك بحسن نية كلها دعوة ينقصها العلم الشرعي، والله المستعان. .. (دراسات في علوم القرآن ـ فهد الرومي )**

***********

# تسمية سور القرآن الكريم

## حول تسمية السور :

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله : "لِسوَر القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول الله ﷺ"
و جاء في "فتاوى اللجنة الدائمة":"لا نعلم نصا عن رسول الله ﷺ يدل على تسمية السور جميعها ، ولكن ورد في بعض الأحاديث الصحيحة تسمية بعضها من النبي ﷺ ، كالبقرة ، وآل عمران ، أما بقية السور فالأظهر أن تسميتها وقعت من الصحابة رضي الله عنهم" ، واختلف العلماء ، هل أسماء سور القرآن الكريم كلها ثابتة عن النبي ﷺ ، أم أن بعضها ثبت اجتهاداً عن الصحابة رضي الله عنهم .. و هذا ما سنتناوله في موضوعنا بإذن الله .

## طريق معرفة السورة :

معرفة سور القرآن الكريم من حيث بداية كل سورة ونهايتها توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه ، ومن حيث المكي و المدني المعلوم أن الرسول -ﷺ- قضى فترة من حياته في مكة قبل البعثة وبعدها، ثم هاجر إلى المدينة النبوية وأقام فيها إلى وفاته ﷺ ، وقد نزل عليه القرآن الكريم في الأمصار والقرى والجبال والوهاد والأودية والسفوح والدور والبراري وفي أوقات مختلفة في الليل والنهار، والسفر، والحضر، والصيف، والشتاء، والسلم، والحرب .

وقد اعتنى العلماء عناية فائقة في معرفة مكان النزول وزمن النزول لما في معرفة ذلك من فوائد عديدة لفهم النصوص القرآنية واستيفاء معانيها واستقصاء مدلولاتها ،وعندما كان القرآن ينزل في مكة أول البعثة كان المسلمون قلة وكان المشركون كثرة وللحديث مع الكفار أسلوبه ولمخاطبة المسلمين طريقتها.

فالقرآن في مكة يدافع عن القلة من المسلمين، ويرفق بهم وينافح عنهم وسط هذه البيئة من الأعداء المشركين وهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويثبت قلوبهم ، والقرآن في مكة يقارع الخصوم ويحطم معتقداتهم الزائفة بالحجة

والدليل ويدفع الشبهات، ويبطل الخرافات، ويكشف الأباطيل والترهات، وهم أهل لجاج وعناد، وإصرار واستكبار وظل القرآن ينافحهم حتى أقام الحجة عليهم وأنشأ جماعة إسلامية كانت نواة الدولة الإسلامية ، وهاجر الرسول -ﷺ- بهذه الجماعة والتقى بجماعة أخرى من المسلمين .

## عدد سور القرآن :

قال الزركشي رحمه الله تعالى: "اعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة كما هي في المصحف العثماني ، أولها الفاتحة وآخرها الناس ، قال مجاهد: وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسملة، ويرده تسمية النبي -ﷺ- كلا منهما".

## مصدر تسمية السور :

اختلف العلماء في مصدر أسماء سور القرآن الكريم :
١- قيل إنها اجتهادية واستبعد الزركشي ذلك .
٢- قيل إنها توقيفية وهو الراجح قال السيوطي: "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار .

واختلف العلماء ، هل أسماء سور القرآن الكريم كلها ثابتة عن النبي ﷺ ، أم أن بعضها ثبت اجتهاداً عن الصحابة رضي الله عنهم؟ فذهب أكثر العلماء إلى أن أسماء سور القرآن كلها توقيفية عن النبي ﷺ . قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله : "لِسوَر القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول الله ﷺ" "جامع البيان".
وقال الزركشي رحمه الله : "ينبغي البحث عن تعداد الأسامي : هل هو توقيفي ، أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفَطِنُ أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد" "البرهان في علوم القرآن" .

وقال السيوطي رحمه الله : "وقد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك" "الإتقان".

وقال الشيخ سليمان البجيرمي رحمه الله : "أسماء السور بتوقيف من النبيّ ﷺ ، لأن أسماء السور وترتيبها وترتيب الآيات كل من هذه الثلاثة بتوقيف من النبيّ ﷺ ، أخبره جبريل عليه السلام بأنها هكذا في اللوح المحفوظ" انتهى باختصار "تحفة الحبيب على شرح الخطيب".

وقال العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله : "وأما أسماء السور فقد جُعلت لها من عهد نزول الوحي ، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة""التحرير والتنوير" ، وهذا ما اختاره بعض المعاصرين الذين كتبوا في علوم القرآن ، مثل الدكتور فهد الرومي في "دراسات في علوم القرآن" ، والدكتور إبراهيم الهويمل في بحث "المختصر في أسماء السور" في "مجلة جامعة الإمام" ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى القول بأن بعض أسماء سور القرآن الكريم كان بتسمية النبي ﷺ لها ، وبعضها كان باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم .

## أقسام السور من حيث تعدد الأسماء :

تنقسم سور القرآن من حيث تعدد الاسم وعدمه إلى ثلاثة أقسام: ما له اسم واحد وهو أكثر سور القرآن مثل: النساء، والأعراف، الأنعام، مريم، وغيرها .

### القسم الأول : ما ثبت عن النبي ﷺ ، وهذا كثير ، ومن أمثلته :

١- ما رواه مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله ﷺ : ( اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف - تُحَاجَّان عن أصحابهما ، اقرؤوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة ) .

٢- وما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ( أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم ) .

## القسم الثاني : ما ثبتت تسميته عن الصحابي :

ومثال ذلك ما رواه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال :
( قلت لابن عباس : سورة الحشر . قال : قل : سورة بني النضير).

## القسم الثالث : تسمية من دون الصحابي إلى وقتنا هذا :

وغالب تسمياتهم تأتي حكاية لبداية السورة ؛ كقولهم : سورة ( أرأيت ) ، سورة ( لم يكن ) ، وهكذا ؛ حيث إنه لم يرد النهي عن تسمية السور بأسماء تدل عليها ، وعلى هذا مضى السلف والخلف ، حتى صار ما رأيتَ من تسمية السورة بحكاية أولها ، وذلك هو الغالب على الكتاتيب ، ودور تحفيظ القرآن الكريم .

## أقسام السور من حيث التسمية :

<u>تنقسم تسمية السور إلى ثلاثة أقسام نوضحها في ما يأتي :</u>

١ـ أن بعض السور لها أكثر من اسم ، وهي إما أن تكون مما أُخِذَ عن الصحابة ، أو يكون شيءٌ منها مما ثبت عنهم أو عن النبي ﷺ ، ثم اشتهر عند المتأخرين اسم آخر .

٢ـ أن تسميات السور لها علاقة بشيء مذكور في السورة ، <u>وهي على أقسام :</u>

◄ منها ما يكون موضوعه مذكورا في السورة ؛ كسورة ( التوبة ) ؛ سميت بهذا الاسم لورود موضوع التوبة على النبي ﷺ والذين معه والذين خُلّفوا ، في قوله تعالى : ( لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [التوبة : ١١٧-١١٨] .

◄ ومنها ما يكون لفظ الاسم واردا فيها ، وعلى هذا أغلب التسميات : كتسمية سورة ( التوبة ) بسورة ( براءة ) لأن افتتاحها بهذا اللفظ في قوله تعالى :
( بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ) [ التوبة : ١ ] .

◄ ومنها ما يكون حكاية لمطلع السورة ، وهو على قسمين :
**الأول :** أن يكون حكاية لألفاظ أول السورة بنصِّها ؛
كقولهم : سورة قل هو الله أحد .
**الثاني :** أن يُشتق اسم من ألفاظ أول السورة ؛ كقولهم : سورة الزلزلة .

٣- أن بعض السور التي تعددت أسماؤها قد يكون بسبب من الأسباب المذكورة في الفقرة السابقة ، وقد تكون واردة عن النبي ﷺ ، وقد تكون واردة عن الصحابة ، وقد تكون عمن دونهم .

ومن الواردة عن النبي ﷺ ما سبق في تسمية الفاتحة ، حيث قال ﷺ : ( أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم ) ، وهي تسمى بهذه الأسماء الثلاثة ، وهذا التعدد في الأسماء يرجع إلى ذات واحدة ، لكن كل اسم فيها يحمل من الصفة ما لا يحمله الاسم الآخر ، وهذا هو سبب تعداد المسميات للشيء الواحد ، والله أعلم .

ومن الوارد عن الصحابة ، ما رواه مسلم بسنده عن سعيد بن جبير : ( قلت لابن عباس : سورة التوبة ؟ قال : آلتوبة ؟! قال : بل هي ( الفاضحة ) ما زالت تنْزل ( ومنهم ، ومنهم ) حتى ظنوا أن لا يبقى منهم أحد إلا ذُكِرَ فيها . قال : قلت : سورة الأنفال ؟ قال : تلك سورة بدر . قال : قلت : فالحشر ؟ قال : نزلت في بني النضير ) ، ولا شك أن المتأمل في أسماء السور يجد لطائف من العلم ، وتبرز له استفسارات تدعوه إلى البحث ، فعلى سبيل المثال : لِمَ سُميت سورة النمل بهذا الاسم ، ولم تُسمَّ بسورة سليمان ، وهو نبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل ؟! ومثل هذا النظر مدعاة للتدبر في أسماء السور ، لكن لا يخفاك أنه قد لا يخلو من تكلف ، والله أعلم . " من كلام أ.د مساعد بن سليمان الطيار : المحرر في علوم القرآن .

***********

# معنى الآية بين اللغة و الإصطلاح

## تعريف الآية في اللغة :

**الآيةُ تُطلَق في اللغة على عدَّة معان:**
**المعجزة ، العَلَامة ، العِبْرة ، الأمر العجيب ، الجماعة ، البرهان والدليل**

## تعريف الآية في الاصطلاح :

**طائفةٌ من القرآن مركَّبة من جُمَل ، ولو تقديرًا، ذات مَطْلع ومَقْطع، مندرِجة في سورةٍ من القرآن .**

## المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي :

**لأن الآية القرآنية معجزة، ولو باعتبار انضمامِ غيرِها إليها، ثم هي علامة على صدق مَن جاء بها صلى الله عليه وسلم، وعلامةٌ على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه مما بعدها، وفيها عبرةٌ وذِكْرى لمن أراد أن يتذكَّر، وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السمو والإعجاز وفيها معنى الجماعة : لأنها مؤلَّفة من جملة كلمات وحروف ، وفيها معنى البرهان والدليل على ما تضمَّنته من هداية وعلم، وعلى قدرة الله وعلمه وحكمته، وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم في رسالته.**

## الاستعمال القرآني لكلمة "آية" بالإفراد أو الجمع :

**آيـة قرآنيـة جمعهـا آي وآيـات، وهـي تعنـي فـي اللغـة العربيـة العلامـة والأمـارة أو المعجـزة. وعنـد ذكرهـا مرتبطـة بـالقرآن فهـي بمعنـى الجمـل والفقـرات التـي وردت فـي القـرآن، ويفضـل للقـارئ التوقـف فـي نهاياتهـا. وعـدد الآيـات فـي القـرآن ٦٢٣٦ آيـة، مـع ١١٢ بسـملة ( غيـر مرقمـة )، فالعـدد الكلـي هـو ٦٣٤٨ آيـة ، تُقسـم كـل سـورة مـن سـور القـرآن إلـى عـدّة آيـات يختلـف عـددها بـاختلاف السـور، كمـا يختلـف طولهـا أيضًـا، حيـث أن بعضـها عبـارة عـن بضـعة حـروف وبعضـها الآخـر عبارة عن عدد من السطور.**

***********

# عدد آيات القرآن الكريم

## أقوال علماء العد في عدد آيات القرآن الكريم :

**العدّ المدني الأول:** وهو ما رواه نافع عن شيخه أبي جعفر وشيخه شيبة بن نصاح، وهو عندهم (٦٢١٧) آية، وهو ما نقله أهل الكوفة عن أهل المدينة دون تحديد أحد منهم.

**العدّ المدني الأخير:** وهو ما رواه إسماعيل بن جعفر عن أبي جعفر وعن شيبة بن نصاح، والعدد على طريقتهم (٦٢١٤) آية، وهو المعتمد عند أهل المغرب في رواية ورش عن نافع.

**العدّ المكي:** وهو ما رواه الإمام الداني عن ابن كثير، وأسنده إلى مجاهد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم، وهم عن رسول الله (ص)، وعدد الآيات عندهم (٦٢١٠) آيات.

**العدّ البصري:** وهو ما يرويه عطاء بن يسار وعاصم الجحدري، ونُسب إلى أيوب المتوكل، وعدُّ آي القرآن عندهم (٦٢١٤) آية، ويؤخذ به لأبي عمرو ويعقوب، ويلاحظ أنه موافق للعد المدني الأخير.

**العدّ الدمشقي:** ويقال الشامي، وهو ما يرويه يحيى الذماري عن ابن عامر، ويُنسب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعدد الآي فيه (٦٢٢٦) آية، ومن أنواع العد الشامي العد الحمصي وقد أهمله الشاطبي تبعاً للداني.

**العدّ الكوفي:** وهو ما يرويه حمزة وسفيان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعدد آي القرآن عندهم (٦٢٣٦) آية، وهو الذي عليه المصحف الكوفي المنتشر في معظم الأمصار الإسلامية هذه الأيام.

## سبب اختلاف علماء العد في عدد آيات القرآن الكريم :

السبب في الاختلاف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رءوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة، فمن نظر إلى الوقف قال إنها رأس آية، ومن نظر إلى الوصل لم يقل إنها آية، وآخر كلمة في الآية تسمى فاصلة، وتجمع على فواصل، ومعرفة الفواصل هو العمدة فيما نحن فيه ،،،

<u>ولمعرفتها طريقان توقيفي وقياسي :</u>

**التوقيفي:** فما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف عليه تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة، أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة، واحتمل الوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.

**القياسي:** فهو ما ألحق من غير المنصوص عليه بالمنصوص عليه لأمر يقتضي ذلك، ولا محذور في ذلك: لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز.

## أثر اختلاف علماء العد في عدد آيات القرآن الكريم :

١ـ معرفة الوقف، على رءوس الآي سنة كما يدل عليه بعض الأحاديث الواردة .

٢ـ أنه يعين على صحة الصلاة، فإن الإجماع انعقد على أن الصلاة لا تصح بنصف آية، وقال جمع من العلماء تجزي بآية، وآخرون بثلاث آيات وآخرون لابد من سبع، وكذلك اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب بدلها سبع آيات. عند من أوجبها، ومنها اعتبارها في الخطبة، فإنه تجب فيها قراءة آية كاملة، ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة، وكذا الطويلة على ما عليه الجمهور.

**٣- أن الإعجاز لا يقع بأقل من ثلاث آيات قصار أو آية طويلة تعادلها فما لم تعرف الآية لا يمكننا أن نقف على القدر المعجز من القرآن.**

**٤- ومنها اعتبارها في قراءة قيام الليل، ففي أحاديث: «من قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين» و«من قرأ بخمسين آية في ليلة كتب من الحافظين» و«من قرأ بمائة آية كتب من القانتين» و«من قرأ بمائتي آية كتب من الفائزين»، و«من قرأ بثلاثمائة آية كتب له قنطار من الأجر»، و«من قرأ بخمسمائة، وسبعمائة، وألف آية...» أخرجها الدارمي في مسنده مفرقة.**

***********

# المكي والمدني

## تعريف المكي والمدني :

**الأول:** أن المكيَّ ما نـزَل قبل الهجرة، والمدني ما نـزل بعدها، سواءٌ نـزل بمكَّة أم بالمدينة، عام الفتح أو عام حجة الوداع، أم بسفَرٍ من الأسفار ، قال يحيى بن سلام: ما نـزِل بمكَّة وما نـزل في طريق المدينة قبل أن يَبلُغ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ فهو من المكي، وما نـزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعدَما قَدِم المدينة فهو من المدني ، وهذا يُؤخَذ منه أن ما نـزل في سفر الهجرة مكِّي اصطلاحًا.

**الثاني:** أن المكيَّ ما نـزَل بمكةَ ولو بعد الهجرة، والمدني ما نـزل بالمدينة، وعلى هذا فما نـزَل بالأسفار لا يُطلق عليه مكِّي ولا مدني ، ويدخل في مكة ضواحيها؛ كالمنزل بمنًى، وعرفات، والحديبية، وفي المدينة ضواحيها؛ كالمنزل ببدر، وأحُد، وسَلْع .

**الثالث:** أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة، وحُمل على هذا قولُ ابن مسعود الآتي ، وإنما يُرجَع في معرفة المكي والمدني إلى حِفظ الصحابة والتابعين، ولم يَرِد عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم في ذلك قولٌ؛ لأنه لم يؤمَر به، ولم يَجعل الله علمَ ذلك من فرائض الأمة، وإن وجَب في بعضه على أهل العلم معرفةُ تاريخ الناسخ والمنسوخ؛ فقد يُعرف ذلك بغير نصِّ الرسول.

## أنواع المكي والمدني :

**مكي خالص :** فمثل سورة اقرأ، والمدثر، والقيامة

**مدني خالص :** مثل البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة

**مكي بعضه مدني :** مثل سورة الأنعام، فإنها مكية إلا قوله تعالى: {وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} الآية، فقد صح أنها نزلت في مالك بن الصيف من اليهود، وسورة الأعراف، فإنها مكية إلا قوله تعالى: {وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ} [سورة الأعراف: ١٦٣] الآية إلى خمس آيات أو ثمان بعدها فإنها مدنية، فإن الضمير في {وَسْئَلْهُمْ} لليهود، ولم يكن بمكة يهود، ومثل سورة الإسراء فإنها مكية إلا قوله تعالى: {وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [سورة الإسراء: ٨٥] الآية فإنها مدنية كما يدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود وقد تقدم في أسباب النزول. ومثل سورة هود فإنها مكية إلا قوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ} [سورة هود: ١١٤] الآية فقد صح أنها نزلت بالمدينة في قصة أبي اليسر.

**مدني بعضه مكي :** فمثل: سورة الأنفال، فإنها مدنية إلا قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [سورة الأنفال: ٣٠] الآية فقد روي عن مقاتل أنها مكية واستثني أيضا قوله تعالى: {وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذا} إلى غاية آية [٣٦] فمكيات ، وقد روي عن ابن عباس أن آية: {وَإِذْ يَمْكُرُ} نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة تذكيرا له بنعمة الله عليه فهي مدنية على هذا.

ومثل سورة {براءة} فهي مدنية إلا قوله: {مَا كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى} [سورة {براءة}: ١١٣] الآية فالصحيح أنها نزلت في قول النبي لعمه أبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك».

## طريقة معرفة المكي والمدني :

◄ من الخصائص الأسلوبية والموضوعية للقسم المكى فيما يأتى: -

١ ـ قصر الآيات والسور وإيجازها وتجانسها الصوتي.

٢ ـ الدعوة إلى أصول الإيمان بالله واليوم الآخر وتصوير الجنة والنار.

٣ ـ الدعوة للتمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير.

٤ ـ مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.

**٥ ـ استعمال السورة لكلمة يا أيها الناس وعدم استعمالها لكلمة يا أيها الذين آمنوا.**
**وقد لوحظ ان سورة الحج تستثنى من ذلك لانها استعملت الكلمة الثانية بالرغم من انها مكية فهذه الخصائص الخمس يغلب وجودها في السور المكيّة.**

**◀ <u>أما ما يشيع في القسم المدني من خصائص عامة فهي: -</u>**
**١ ـ طول السورة والآية وإطنابها.**
**٢ ـ تفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينية.**
**٣ ـ مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى عدم الغلو في دينهم.**
**٤ ـ التحدث عن المنافقين ومشاكلهم.**
**٥ ـ التفصيل لإحكام الحدود والفرائض والحقوق والقوانين السياسية والاجتماعية والدولية .**

## فوائد معرفة المكي والمدني :

من فوائد معرفة المكي والمدني **تمييز الناسخ من المنسوخ**، لنأخذ بالحكم الناسخ ونترك الحكم المنسوخ ، وتوضيح ذلك أنه إذا وردت آيات من القرآن في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هذه الآيات مخالفا للحكم في غيرها، ثم عرفنا أن بعضها مكّي وبعضها مدني، فإننا نحكم بأن المدني ناسخ للمكّي نظرا لتأخّر القرآن المدني عن المكّي .

ومن فوائد هذا العلم **معرفة تاريخ التشريع الإسلامي** ، وتدرّج المشرع الحكيم في نقل الناس إلى المنهج الإسلامي المتكامل ، الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالما من أي تغيير أو تحريف ، ويدلّ على ذلك اهتمام المسلمين بالقرآن وتاريخ نزوله، وتسجيل دقائق نزوله الزمانية والمكانية، ونقلها بكل أمانة وضبط .

ومن فوائده أنه **يبصّر المؤمن والمفسّر بمعنى الآية** ، ومثال ذلك: أن من يقرأ سورة: (قل يا أيها الكافرون) ويعلم أنها مكية، ونزلت عند ما قال بعض زعماء المشركين للنبي ﷺ: نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة أخرى، فإن هذا العلم بمكان النزول وزمانه وسببه يحجز عن الخطأ في تفسيرها وفهمها .

***********

# سور المُفَصّل من القرآن الكريم

**تقسيم سور القرآن إلى السبع الطوال والمئين و... وحزب المفصل : فهذا الحديث يبيّن أن هذه الأقسام ليست مستحدثة، وأن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم .**

**السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة؛ لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة سورة واحدة.**

**المِئُون : فهي السور التي يقترب عدد آياتها من المائة أو تزيد.**

**المثاني : فهي ما ولى المِئِين، وقد تسمَّى سور القرآن كلها مثاني؛ ومنه قوله ـ تعالى-: ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ [الحجر: ٨٧] ، وإنما سمي القرآن كله مثاني؛ لأن الأنباء والقصص تثنى فيه، ويقال إن المثاني في قوله ـ تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ [الحجر: ٨٧]، هي آيات سورة الحمد، سماها مثاني؛ لأنها تثنى في كل ركعة، وقال الفراء: "المثاني هي السور التي آيُها أقل من مائة آية؛ لأنها تثنى؛ أي؛ تكرر أكثر مما تثنى الطوال والمئون.**

**المفصل : فهو لفظ يطلق على السور بَدْءًا من "سورة ق" إلى آخر المصحف.**

**أقوال العلماء في تحديد المفصل من القرآن الكريم :**

**جاء في "الموسوعة الفقهية" (٣٣/ ٤٨) : " اختلفوا في المفصل :**

**فذهب الحنفية : إلى أن طوال المفصل من ( الحجرات ) إلى ( البروج ) , والأوساط منها إلى ( لم يكن ) , والقصار منها إلى آخر القرآن .**

**وعند المالكية : طوال المفصل من ( الحجرات ) إلى ( النازعات ) , وأوساطه من ( عبس ) إلى ( الضحى ) , وقصاره من ( الضحى ) إلى آخر القرآن .**

وقال الشافعية : طوال المفصل كالحجرات واقتربت والرحمن , وأوساطه كالشمس وضحاها والليل إذا يغشى , وقصاره كالعصر وقل هو الله أحد .

وذهب الحنابلة : إلى أن أول المفصل سورة ق ؛ لحديث أوس بن حذيفة قال : " سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث وخمس , وسبع , وتسع , وإحدى عشرة , وثلاث عشرة , وحزب المفصل وحده " [ رواه أبو داود (١٣٩٥) وابن ماجه (١٣٤٥) وحسنه إسناده ابن كثير في فضائل القرآن (٨٣) ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود ] . قالوا : وهذا يقتضي أن أول المفصل السورة التاسعة والأربعون من أول البقرة لا من الفاتحة . وآخر طواله سورة عم , وأوساطه منها للضحى , وقصاره منها لآخر القرآن " انتهى . وينظر : "فتح الباري" (٢/٢٤٩) ، الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (١/١٨٠) .

## القول الراجح من أقوال العلماء في تحديد المفصل من القرآن الكريم :

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :" أول المفصل من ق إلى آخر القرآن على الصحيح ، وسمي مفصلا لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة على الصحيح " انتهى ، باختصار يسير من "فتح الباري" (٢/٢٥٩) ، وينظر أيضا : "فتح الباري" (٩/٤٣) ، وأما أول تسمية ذلك بالمفصل : فقد كان هذا الاسم معلوما شائعا بين الصحابة ، وردت به أحاديث كثيرة منوعة عن عدد من الصحابة ؛ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ : قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ فِي رَكْعَةٍ ؟ فَقَالَ : هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ ؟! لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ ؛ فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنْ الْمُفَصَّلِ ، سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ . رواه البخاري (٧٧٥) ومسلم (٨٢٢) .

والأحاديث التي ذكر فيها التسمية بالمفصل كثيرة جدا ، ومتنوعة ، في الصحيحين وغيرهما ، مما يرجح أن التسمية بذلك توقيفية عن النبي صلى الله عليه وسلم ،عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ : كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ ، فَصَلَّى الْعِشَاءَ فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ ، فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ ، فَكَأَنَّ مُعَاذًا تَنَاوَلَ مِنْهُ . فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ( فَتَّانٌ ، فَتَّانٌ ، فَتَّانٌ ) ثَلَاثَ مِرَارٍ ، وَأَمَرَهُ بِسُورَتَيْنِ مِنْ أَوْسَطِ الْمُفَصَّلِ . قَالَ عَمْرٌو ـ راوي الحديث ـ : لَا أَحْفَظُهُمَا . رواه البخاري(٧٠١) ومسلم (٤٦٥) .

***********

# أول ما نزل من القرآن الكريم ، الأقوال و سبب الاختلاف

## أقوال العلماء في أول ما نزل من القرآن الكريم :

### القول الأول:

إن أول ما نزل من القرآن "صدر سورة اقرأ"، وهو قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} وهذا القول أصح الأقوال وأرجحها، ومن أدلته:

ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله -ﷺ- من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال له: اقرأ، قال: "ما أنا بقارئ "، قال: "فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني "، فقال: اقرأ، "قلت: ما أنا بقارئ"، فأخذني فغطي الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني " فقال: اقرأ، " فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} ، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ... الحديث .

### القول الثاني:

أول ما نزل سورة المدثر: ودليل هذا القول الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ. قال: جابر أحدثكم ما حدثنا به رسول الله -ﷺ- قال: "جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جواري، نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحدًا ثم نوديت. فنظرت فلم أر أحدًا ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء "يعني: جبريل عليه السلام " فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت

خديجة فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا عليّ الماء، فأنزل الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}.

**القول الثالث:**

إن أول ما نزل سورة الفاتحة. واستدل أصحاب هذا القول بـ: ما رواه البيهقي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله -ﷺ- قال لخديجة: "إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرًا" فقالت: "معاذ الله ما كان الله ليفعل بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ... " الحديث، وفيه أن خديجة قالت لأبي بكر: اذهب مع محمد إلى ورقة فانطلقا إليه فقصا عليه، فقال: "إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فأنطلق هاربًا في الأرض"، فقال: لا تفعل، فإذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه: يا محمد، قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين" الحديث .

ويرد على أصحاب هذا القول بردود منها: أن هذا الحديث لا يدل على أن الفاتحة كانت أول ما نزل بل فيه دلالة على أن جبريل خاطب الرسول -ﷺ- غير مرة وليس فيه نفي بنزول شيء من القرآن في بعضها، فلا يصح الاستدلال بهذا على الأولية ، أن الحديث مرسل فلا يقوى على مناهضة حديث عائشة المرفوع ، وقد عقب البيهقي على هذا الحديث بقوله: "فهذا منقطع، فإن كان محفوظًا فيحتمل أن يكون خبرًا عن نزولها بعد ما نزلت عليه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} و {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} والله أعلم". وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر والله أعلم"

**القول الرابع:**

إن أول ما نزل "بسم الله الرحمن الرحيم". ولأصحاب هذا القول أدلة منها: حديث أبي ميسرة السابق وقلنا: إنه حديث مرسل لا يقوى على مناهضة المرفوع ، و ما أخرجه الواحدي عن عكرمة والحسن قالا: أول ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم، فهو أول ما نزل من القرآن بمكة وأول سورة اقرأ باسم ربك وهو أيضًا حديث مرسل لا يقوى على مناهضة حديث عائشة المرفوع ، و ما أخرجه ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عن الضحاك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما نزل جبريل على محمد. قال: "يا محمد استعذ، قل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم" ثم قال: "قل": بسم الله الرحمن الرحيم" ثم

قال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} " قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل" قال ابن كثير: "وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفًا وانقطاعًا" ، "قلت" ومع ضعفه وانقطاعه فهو حجة عليهم لا لهم؛ إذ إن ابن عباس رضي الله عنهما صرح فيه بأولية نزول اقرأ ولم يعتد بأولية ذكر البسملة ، ثم إن البسملة فاتحة لكل سورة تنزل فلا يعتد بأوليتها أولية مطلقة.
وبهذا كله يظهر بطلان هذا القول.

## كيفية الجمع والترجيح بين هذه الأقوال :

ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله - ﷺ - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال له: اقرأ، قال: "ما أنا بقارئ "، قال: "فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني "، فقال: اقرأ، "قلت: ما أنا بقارئ"، فأخذني فغطي الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني " فقال: اقرأ، " فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ... الحديث .

ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ. قال: جابر أحدثكم ما حدثنا به رسول الله -ﷺ- قال: "جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جواري، نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحدًا ثم نوديت. فنظرت فلم أر أحدًا ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء "يعني: جبريل عليه السلام " فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا عليّ الماء، فأنزل الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}.

ما رواه البيهقي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله -ﷺ- قال لخديجة: "إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرًا" فقالت: "معاذ الله ما كان الله ليفعل بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ... " الحديث، وفيه أن خديجة قالت لأبي بكر: اذهب مع محمد إلى ورقة فانطلقا إليه فقصا عليه، فقال: "إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فأنطلق هاربًا في الأرض"، فقال: لا تفعل، فإذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه: يا محمد، قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين" الحديث .

◄◄◄ وقد جمع القاضي أبو بكر في الانتصار - كما نقله عنه الزركشي - بين هذه الأقوال فقال: وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} وأول ما نزل من أوامر التبليغ {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة .

## فائدة معرفة أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم :

**وتشترك معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل مع معرفة المكي والمدني في فوائد كثيرة منها:**

### أولًا: تمييز الناسخ من المنسوخ:

وذلك حين ورود آيتين بحكمين مختلفين فإن معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل تعين على معرفة الناسخ من المنسوخ، ومثال ذلك قوله تعالى في عدة المرأة المتوفى عنها زوجها: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ} فقد بينت هذه الآية أن العدة عام
وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} جعل العدة أربعة أشهر وعشرًا، وإذا عرفنا أن هذه الآية هي آخر ما نزل عرفنا أنها هي الناسخة.

## ثانيًا: معرفة تاريخ التشريع الإسلامي :

وتدرجه الحكيم في التشريع، وقد مر بنا استعراض المراحل التي مر بها تحريم الخمر وكيف تمت مراعاة أحوالهم حيث اعتادوا شرب الخمر، لا يكاد يخلو منها بيت وكيف تدرج في علاج هذه المشكلة حتى خرجوا إلى بر الأمان والسلامة والإسلام بحكمة بالغة.

## ثالثًا:الاستعانة بمعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل في تفسير القرآن :

لمعرفة التفسير السليم واستنباط الحكم الصحيح، وقد عرفنا ذلك في معرفة أول وآخر ما نزل في الربا والجهاد والخطأ الذي وقع فيه بعضهم بسبب جهل معرفة أول وآخر ما نزل.

## رابعًا: تذوق أساليب القرآن الكريم والاستفادة من ذلك في أسلوب الدعوة إلى الله :

حيث يكون بأسلوب لتقرير حكم ثم يختلف الأسلوب لتقرير حكم آخر بالوعد مرة والوعيد أخرى وبالترغيب أو الترهيب أو بالتخيير أو الإلزام حسب ما يناسب الحال .

### خامسًا: معرفة السيرة النبوية وترتيب أحداثها :

حسب حديث القرآن عنها ومتابعة أحوال الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومواقفه في الدعوة في مكة وسيرته في الدعوة إلى الله بعد الهجرة؛ مما يوقف الدعاة خاصة والمسلمين عامة على أصدق حديث عن أفضل سيرة لأحسن قدوة عليه الصلاة والسلام.

### سادسًا: إظهار عناية الصحابة والعلماء من بعدهم بالقرآن الكريم :

حتى عرفوا أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن كله وفي كل حكم من أحكامه الذي لا يمكن الوصول إليه وإدراكه إلا بالجهد الكبير والاهتمام العظيم مما يوجب على من بعدهم الاقتداء بهم والسير على نهجهم.

***********

# آخر ما نزل من القرآن الكريم

## أقوال العلماء في آخر ما نزل من القرآن الكريم :

اختلف أهل العلم في آخر آية نزلت من القرآن ، على أقوال متعددة ، تكلم فيها كلٌّ بما أداه إليه اجتهاده ، وليس في شيء من ذلك خبر عن المعصوم ، يمكن القطع به وأكثرهم على أن آخر آية نزولا هي قوله تعالى في سورة البقرة : ( وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) البقرة/ ٢٨١ ، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - :" أصحّ الْأَقْوَالِ فِي آخِرِيَّةِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى الله)" انتهى من "فتح الباري" (٨/ ٣١٧) ، قال أبو بكر الباقلاني - رحمه الله - :" اختلفت الصحابةُ ومَن بعدَهم في آخرِ ما أُنزل من القرآن ... " - ثم ذكر الخلاف ثم قال - : " وليس في شيءٍ من الرواياتِ ما رُفع إلى النبي عليه السلام ، وإنّما هو خَبَر عن القائل به ، وقد يجوزُ أن يكونَ قالَ بضربٍ من الاجتهاد ، وتغليبِ الظنّ وبظاهرِ الحال ، قال الحافظ جلال الدين السيوطي - رحمه الله - : " مَعْرِفَةُ آخِرِ مَا نَزَلَ ، فِيهِ اخْتِلَافٌ :

- فَرَوَى الشَّيْخَانِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ : ( يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ) وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ .

- وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : " آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ : آيَةُ الرِّبَا " ، وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عُمَرَ مِثْلَهُ . وَالْمُرَادُ بها قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا ) .

- وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : " آخِرُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) الْآيَةَ .

- وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : " آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ: (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) الْآيَةَ ، وَعَاشَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ تِسْعَ لَيَالٍ ، ثُمَّ مَاتَ لَيْلَةَ الاثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ " وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ مِثْلَهُ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ:

" آخَرُ آيَـةٍ نَزَلَـتْ : (وَاتَّقُوا يَوْمـاً تُرْجَعُونَ فِيـهِ إِلَـى اللَّهِ) الآيَـةَ ، وَأَخْـرَجَ أَبُـو عُبَيْـدٍ فِـي " الْفَضَـائِلِ " عَـنِ ابْـنِ شِـهَابٍ قَـالَ:" آخِـرُ الْقُـرْآنِ عَهْـدًا بِـالْعَرْشِ آيَـةُ الرِّبَـا ، وَآيَـةُ الدَّيْنِ " .

- وَفِـي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ أُبَـيِّ بْنِ كَعْبٍ قَـالَ : " آخِرُ آيَـةٍ نَزَلَـتْ : (لَقَدْ جَـاءَكُمْ رَسُـولٌ مِـنْ أَنْفُسِكُمْ ) إِلَـى آخِـرِ السُّـورَةِ " وَأَخْـرَجَ ابْـنُ مَرْدَوَيْـهِ عَنْ أُبَـيٍّ أَيْضًـا قَـالَ : " آخِـرُ الْقُـرْآنِ عَهْـدًا بِـاللَّهِ هَاتَـانِ الآيَتَـانِ: (لَقَـدْ جَـاءَكُمْ رَسُـولٌ مِـنْ أَنْفُسِـكُمْ) ، وَأَخْـرَجَ أَبُـو الشَّيْخِ فِي تَفْسِيرِهِ مِـنْ طَرِيـقِ عَلِـيِّ بْـنِ زَيْـدٍ عَنْ يُوسُـفَ الْمَكِّـيِّ عَنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ قَـال: " آخـر آيـة نَزَلَـتْ: (لَقَـدْ جَـاءَكُمْ رَسُـولٌ مِـنْ أَنْفُسِـكُمْ) " انتهـى مـن "الإتقـان فـي علـوم القرآن" (١/ ١٠١-١٠٣) .وينظر : " تفسير ابن كثير" (٢/ ١٦٨) .

## سبب اختلاف العلماء في آخر ما نزل من القرآن الكريم :

سـبب الاخـتلاف فـي هـذا الأمـر بـالرغم مـن شـهرة بعـض الروايـات ورجحانـها أن الأمـور التـي تتعلـق بالنقـل والروايـة يختلـف الـرأي فيهـا بـاختلاف الروايـة، وتتعـدد الأقـوال بتعـدد مـا ثبـت مـن الروايـات، ولا يملـك الباحـث فـي مـوطن الروايـات المنقولـة إلا أن يقـف موقـف الحيـاد، سـامعا للروايـة ، ناقـدا لسـندها، مفسـرا لمتنهـا مرجحـا بالحجة والبيان ما يراه أقوى وأرسخ .

<u>والخـلاف فـي معرفـة أول مـا نـزل وفـي معرفـة آخـر مـا نـزل يـدلنا دلالـة أكيـدة علـى أمرين:</u>

**الأمـر الأول :** اهتمـام علمـاء القـرآن بكـل مـا يتعلـق بـالقرآن مـن حيـث النـزول وتـاريخ النـزول وأسـبابه، وهـذا الاهتمـام عمـق الثقـة بجديـة الدراسـات القرآنيـة، وجعلهـا فـي موطن اليقين، لكيلا يتطرق الشك إلى قطعية الثبوت فيما يتعلق بالنص القرآني.

**الأمـر الثـاني :** أمانـة العلمـاء فـي تسـجيل مـا ثبـت لـديهم مـن روايـات منقولـة، تـاركين للبـاحثين المختصـين أمـر توثيـق تلـك الروايـات والنظـر فـي أسـانيدها، فـي ضـوء مقارنتهـا مـع الروايـات المنقولـة الأخـرى المتعارضـة منهـا، ممـا يجعـل أمـر التـرجيح خاضعا لمعايير نقدية معتمدة.

## فائدة معرفة آخر ما نزل من القرآن الكريم :

الإلمام بأول ما نزل وآخره تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات على موضوع واحد وكان الحكم في إحدى هذه الآيات يغاير الحكم في الأخرى ومن فوائده أيضا معرفة تاريخ التشريع الإسلامي ومراقبة سيره التدريجي والوصول من وراء ذلك إلى حكمة الإسلام وسياسته في أخذه الناس بالهوادة والرفق والبعد بهم عن غوائل الطفرة والعنف سواء في ذلك هدم ما مردوا عليه من باطل وبناء ما لم يحيطوا بعلمه من حق.

يضاف إلى هاتين الفائدتين فائدة ثالثة: هي إظهار مدى العناية التي أحيط بها القرآن الكريم حتى عرف فيه أول ما نزل وآخر ما نزل, كما عرف مكيه ومدنيه وسفريه وحضريه إلى غير ذلك. ولا ريب أن هذا مظهر من مظاهر الثقة به ودليل على سلامته من التغيير والتبديل. {لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} .

***********

# تفسير النبى ﷺ للقرآن

## بيان القرآن هو مهمة النبي ﷺ :

كان طبيعياً أن يفهم النبى ﷺ القرآن جملة وتفصيلاً، إذ تكفل الله تعالى له بالحفظ والبيان: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة: ١٧ ـ ١٩] ، كما كان طبيعياً أن يفهم أصحاب النبى ﷺ القرآن في جملته، أى بالنسبة لظاهره وأحكامه، أما فهمه تفصيلاً، ومعرفة دقائق باطنه، بحيث لا يغيب عنهم شاردة ولا واردة، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن، بل لا بد لهم من البحث والنظر والرجوع إلى النبى ﷺ فيما يشكل عليهم فهمه، وذلك لأن القرآن فيه المجمل، والمشكل ، والمتشابه ، وغير ذلك مما لا بد في معرفته من أمور أُخرى يُرجعَ إليها .

## طرق بيان النبي ﷺ للقرآن الكريم :

### النوع الأول:

أن تأتي مؤكدة لآيات من القرآن الكريم، ومثاله أحاديث وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج، كقوله ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) رواه البخاري، فهذا الحديث مؤكد لقوله تعالى في شأن الصلاة والزكاة: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٨٣]، ولقوله تعالى في شأن الصوم: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ولقوله تعالي في شأن الحج: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

**النوع الثاني:**

أن تأتي مبينة لكتاب الله، قال سبحانه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، وبيان السنة للقرآن يتمثل في عدة جوانب، منها:

١ـ **بيان مجمله :** فقد جاءت كثير من أحكام القرآن العملية مجملة، فبينت السنة إجمالها، ومن ذلك أن الله أمر بأداء الصلاة من غير بيان لأوقاتها وأركانها وركعاتها وغير ذلك، فبينت السنة كل ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعليمه لأصحابه كيفيتها،

٢ـ **تخصيص عامه :** فقد وردت في القرآن أحكام عامة جاءت السنة بتخصيصها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١]، فهذه الآية عامة في كل أصل موروث، فخصص ﷺ ذلك بغير الأنبياء فقال عليه الصلاة والسلام: (لا نوْرَثُ ما تركنا صدقة) رواه البخاري.

٣ـ **تقييد مطلقه :** فقد ورد في القرآن آيات مطلقه جاءت السنة بتقييدها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ [النساء: ١١]، فأمرت الآية بإخراج الوصية من مال الميت ولم تحدد مقدارها، فجاءت السنة مقيدة للوصية بالثلث.

٤ـ **توضيح المشكل :** فقد أشكل فهم بعض الآيات على الصحابة، فكان رسول الله ﷺ يوضح لهم ما أشكل عليهم، ومن ذلك ما رواه البخاري عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه ليس بذاك، ألا تسمعون إلى قول لقمان:
﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾) [لقمان: ١٣]، ففهم الصحابة رضوان الله عليهم أن المراد بالظلم في الآية عموم الظلم .

**النوع الثالث:**

**أن تأتي السنة بأحكام زائدة على ما في القرآن، فتوجب أمراً سكت القرآن عن إيجابه، أو تحرم أمراً سكت القرآن عن تحريمه، ومن أمثلة هذا النوع الأحاديث التي تحرم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، وتحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، وغير ذلك. وهذا النوع وإن كان زائداً على ما في القرآن إلا أنه تشريع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مما يجب طاعته فيه ولا تحل معصيته امتثالاً لما أمر الله به من طاعة رسوله، قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠].**

**هل فسر النبي ﷺ كل القرآن :**

**لم يفسر النبي ﷺ القرآن كاملا :**

**فلو فسّر النبي القران كاملا لاصحابه وللناس في ذلك الزمان تفسيرا علميا لاستعصى على افهامهم ولكان مكذبوه اكثر من مصدقيه ,والامثلة على ذلك كثيرة .**

**كقوله تعالى ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ) النور ٤٣**

**ـ في هذه الاية ذكر لمراحل ثلاثة لا بد منها لهطول المطر وهي:**

**الاولى: التبخر حيث يؤدي الى تكون السحاب .**
**الثانية:وصول الهواء الى درجة الاشباع بكمية البخار .**
**الثالثه: التكاثف وجاء هذا التركيب في الاية على التعاقب .**

من كان من الصحابة يتخيل او يدرك هذه المراحل لتكون المطر .والقران الكريم ملئ بالايات التي تتحدث عن حقائق علمية لم تكن معروفة الامن عهد قريب ولازالت ايات كثيرة تحمل معاني تقف العقول امامها حيرى ، ولو كان القران كاملا يناسب زمان بعثة النبي ويتماشى مع العلم حينها لقلنا شيئ مضى وانقضى زمانه ، ولو فسّر الرسول ﷺ القران بما يناسب أفهام الناس في ذلك الزمان لما بحثنا ولما اجتهدنا في تفسيره لاننا بذلك سنخالف سنة نبينا ﷺ .

## مظَانُّ تفسير النبي ﷺ :

**١ - بيان معنى لفظة :** إن المتأمل في ما نقله الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم يلاحظ أنهم لم يوردوا عنه تفسيراً للألفاظ، ويظهر والله أعلم أن ذلك بسبب معرفتهم المعاني اللغوية؛ لأنهم عرب يفهمون معاني الخطاب، ولو ورد لهم استشكال في فهم ألفاظه أو مدلولاته اللغوية لسألوا عنها، ومما يدل على ذلك حديث ابن مسعود في نزول آية:{الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُم بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢] فهم فهموا الظلم بمعناه العام في لغتهم (أي أنهم استشكلوا مدلول لفظة: الظلم) فشق عليهم هذا الخطاب حتى بينه لهم رسول الله.

**٢ - بيان حكم فقهي في الآية :** قد يرد الحكم في آية مطلقا فيذكر الرسول صلى الله عليه وسلم مزيد بيان له، وذلك إما بتحديد مقدار الحكم الفقهي، أو تخصيص اللفظ العام أو غير ذلك. ومن تحديد المقدار: ما رواه البخاري في تفسير قوله تعالى: {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ} [البقرة: ١٩٦] عن كعب بن عجرة قال: حملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاه؟» قلت: لا، قال: «صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين؛ لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك» فنزلت فيّ خاصة، وهي لكم عامة .

**٣- بيان المشكل :** إنما يعرف المشكل بسؤال الصحابة عنه؛ لأن السؤال لا يقع إلا بعد استشكال في الغالب ومن أمثلة ما سأل عنه الصحابة: حياة الشهداء. قال مسروق: سألنا عبد الله عن هذه الآية: {ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩] فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فأخبرنا أن أرواحهم في جوف طير خضرٍ، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل..) الحديث

**٤- ذكر مصداق كلامه من القرآن :** ورد في تفسير النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة يذكر فيها مصداق كلامه من القرآن، وتأتي عبارات: (ثم قرأ) (اقرؤا إن شئتم) (مصداق ذلك من كتاب الله)، ومن ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه غضبان، وقال عبد الله: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداق ذلك من كتاب الله جل ذكره: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ..} [آل عمران: ٧٧]

**٥- بيان مبهم :** القاعدة الغالبة أن ما أبهمه القرآن فلا فائدة عملية تنال من ذكره، ومع ذلك فإنه ورد سؤال الصحابة عن ذلك، إلا أنه نادر، ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: مرّ بي عبدالرحمن بن أبي سعيد الخدري، قال: قلت له: كيف سمعت أباك يذكر المسجد الذي أسس على التقوى؟. قال: قال أبي: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: «فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: هو مسجدكم هذا؛ لمسجد المدينة». قال: فقلت: أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره .

***********

# التفسير في العهد النبوي

## أنواع التفسير في العهد النبوي :

◄ مـرّ أن التفسـير النبـوي: كـل قـول أو فعـل صـدر عـن النبـي ﷺ صـريحاً فـي إرادة التفسير ويمكن حصر أنواعه في ثلاثة :

### أن يبتدر الصحابة بتفسير آية:

وفـي هـذا قـد يـذكر ﷺ الآيـة، ثـم يفسـرها أو العكـس، ومـن أمثلـة ذكـر الآيـة ثـم تفسـيرها، مـا رواه البخـاري ومسـلم عـن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه، قـال:» إن رسـول الله ﷺ قـال: قيـل لبنـي إسـرائيل {ادْخُلُـوا البَـابَ سُـجَّداً وَقُولُـوا حِطَّـةٌ نَّغْفِـرْ لَكُـمْ خَطَايَـاكُمْ} [البقـرة: ٥٨] فـدخلوا يزحفـون علـى أسـتاههم: (أدبـارهم) وقـالوا: «حبـة في شعرة»

ومـن أمثلـة ذكـر معنـى الآيـة ثـم ذكـر الآيـة، مـا رواه البخـاري ومسـلم عـن أبـي موسـى الأشـعري رضـي الله عنـه: قـال رسـول الله ﷺ : «إن الله ليملـي للظـالم، حتـى إذا أخـذه لـم يفلتـه، ثـم قـرأ {وَكَـذَلِكَ أَخْـذُ رَبِّـكَ إِذَا أَخَـذَ القُـرَى وَهِـيَ ظَالِمَـةٌ إِنَّ أَخْـذَهُ أَلِـيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢]»

### أن يسأله الصحابة عن المعنى المراد فيجيبهم :

ومـن أمثلتـه، مـا رواه الترمـذي عـن عبـادة بـن الصـامت وأبـي الـدرداء فـي سـؤالهما عـن البشـرى فـي قولـه تعـالى: {لَهُـمُ البُشْـرَى فِـي الحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَفِـي الآخِـرَةِ لا تَبْـدِيلَ لِكَلِمَـاتِ اللَّهِ ذَلِـكَ هُـوَ الفَـوْزُ العَظِـيمُ} [يـونس: ٦٤] جـاء فـي حـديث أبـي الـدرداء: أن رجـلاً مـن مصـر سـأله عـن هـذه الآيـة، فقـال لـه أبـو الـدرداء: مـا سـألني عنهـا أحـد منـذ سـألت رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، فقـال: مـا سـألني عنهـا أحـد غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له»

## أن يتأوّل أمراً أو نهياً في القرآن :

التأوّل: ما يقوم به الرسول ﷺ من أفعالٍ تكون مفسرة للخطاب القرآني، وموضحة للمراد منه :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] صَعِد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً ينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: ١، ٢]»

وعن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاةً بعد أن نزلت عليه {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي . وفي رواية أخرى عنه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأوّل القرآن».

## هل فسّر الصحابة القرآن والرسول ﷺ بين أظهرهم؟

**الجواب:** نعم، لكن مما ينبغي أن يشار إليه قبل ذلك: حرص الصحابة على تعلم معاني القرآن، وقد ورد في ذلك عدة آثار، منها:
عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ» رواه الطبري في التفسير (١/ ٧٤).
عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: «حَدَّثَنَا الَّذِينَ، كَانُوا يُقْرِؤُنَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْرِئُونَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُخْلِفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا القرآن وَالْعَمَلَ جَمِيعًا»

**وأما ما وقع من الصحابة من تفسيرات ـ باجتهادهم ـ فإنهم كانوا يعرضونها على رسول الله ، ولا يخلو الحال من أمرين :**

**الأول:** أن يستدرك عليهم فهمهم، ويبين لهم المعنى المراد، ومن ذلك: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ [البقرة: ١٨٧] مِنَ الْفَجْرِ قَالَ لَهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ: عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ، أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ، إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ» رواه البخاري (٤٥٠٩)، ومسلم (١٠٩٠).
والرسول لم يمنع عديًّا من أن يفهم القرآن على ما عنده من معرفة اللسان العربي ( وفي الأثر دليل على اعتماد اللغة في تفسير القرآن المجيد )؛ لأن فهمه من جهة اللغة صحيح، لكنه بين له المعنى اللغوي الآخر الذي غفل عنه عديٌّ، وهو بياض النهار وسواد الليل، ولو كان فهم القرآن ابتداءًا غير جائز لهم لنبههم على ذلك، وذلك لم يرد مع تكرر الوقائع المشبهة لأمر عديٍّ .

**الثـاني:** أن يقرَّ فهمه، ومن ذلك: عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، قَالَ: فَاحْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلَكَ، فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي صَلَاةَ الصُّبْحِ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: " يَا عَمْرُو، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟ " قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلَكَ، وَذَكَرْتُ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا [النساء: ٢٩] فَتَيَمَّمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا(رواه أحمد في مسنده: (١٧٨١٢)، (٣٤٦/٢٩) ، وهو حديث صحيح) .

## أبرز ملامح هذا العهد النبوي :

١ ـ النبي  فسّر مباشرة شيء من القرآن (وهو قليل) .

٢ ـ إذا أدخلنا تأوّلات النبي ، وعموم سنته التي يمكن الاستفادة منها في تفسير القرآن، فيمكن القول بأن ما فسَّره النبي  كثير؛ لكن هذا قائم على قدرة المفسّر على الربط بين معنى الآية والحديث .

٣ـ ظهر في هذا العصر بداية فهم بعض الصحابة بعض الآيات على وجه من وجوه التأويل .

٤ ـ بداية التفسير بالرأي في عهد النبي .

٥ ـ لم يعتن  بكتابة شيء غير القرآن الكريم ، لذا لم يظهر تدوين للتفسير ولا لغيره إلا نزر يسير معروف في تاريخ التدوين ، وهو الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو .

***********

# الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، سائلاً المولى عزَّ و جلّ أن ينفع بنا و يستخدمنا و لا يستبدلنا، و ما من فضل و توفيق فمن الله ( وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ) هود-٨٨ .. و ما من تقصير فمني و من الشيطان .

فحَريٌّ بنا أيها المؤمنون أن نستشعر عند قراءتنا لكتاب الله كيف وصل هذا القرآن العظيم إلينا و نحن الآن بفضل الله علينا لا نشعر بعناء القراءة ، و مع ذلك لا نبذل من أوقاتنا ما ترتفع به درجاتنا و حسناتنا و تحط عنا خطايانا ،
و كم فرطنا من الحسنات فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ ) رواه الترمزي وصححه الألباني

فكم من مرات قرأنا القرآن بلا فهم و لا خشوع و لا تدبر ، لذلك فعلينا أن نتعلم و ندرس تفسير الآيات ، ففهم الآيات هو السبيل الحقيقي للتدبر و فهم كلام الله جل و علا ، و كما استفدت أنت أيها القارئ الكريم و انتفعت ، فلا تنس تُفيد غيرك و لو شخص واحد ، أسئل الله سبحانه أن يكتبلنا و لكم الأجر و أن يسددنا و يعلمنا ما ينفعنا و يهدينا الصراط المستقيم و يوفقنا لإتباع خُطى النبي ﷺ و أصحابه ، و أن يحشرنا في زمرته ، و يجمعنا و والدينا و أزواجنا و ذرياتنا مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا .

هذا و الله أعلم

( و صلى الله و سلم على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين )

***********

# المصادر


- الموسوعة القرآنية المتخصصة بالمكتبة الشاملة .
- مقدمة في علوم القرءان – مصادر متعدده .
- دراسات في علوم القرآن ـ فهد الرومي .
- موقع الإسلام سؤال و جواب .
- ملتقى أهل التفسير .
- شبكة القراءات القرءانية .
- كتاب علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم .
- شبكة الألوكه الشرعية .
- موقع الإسلام سؤال و جواب .
- موسوعة القرآن الكريم ـ روح الإسلام .
- موقع نداء الإيمان ـ القرآن وعلومه .
- السنة كمصدر من مصادر تفسير القرآن الكريم .
- الموقع الرسمي للشيخ الدكتور مساعد الطيار .
- معلومات من الشبكة العنكبوتية و موسوعة ويكيبيديا الحرة .
- تاريخ التفسير (العهد النبوي، وعهد الصحابة)، د/ مساعد الطيار .


***********

# الفهرس

الموضوع رقم الصفحة



***********